

الموعظة على الجبل

(١) هي ليست مجموعة أقوال وحكم، لكنها عظة مرتبة لها هدف محدد. فهي ليست أقوال متفرقة، ولكنها بناء محكم، وهي مرتبة ترتيب تصاعدي لتحقيق غرض محدد.

(٢) هي ليست مجموعة وصايا أخلاقية جديدة، لكنها وصف لنوعية حياة جديدة. فيها يصف الملك يسوع شكل ونوعية حياة بني الملكوت، تلك الحياة التي مزجها في أرواح أبناء الله، كما يصف تفاعل هذه الحياة مع مواقف الحياة المختلفة.

(٣) هي ليست نوعية حياة تؤهل البشر للسماء، بل هي نوعية حياة السماء التي تعمل في الأرض. بها تكتمل عودة الأرض إلى السماء. فقد أعلنت العظة نوعية الحياة، التي يحيا بها الله نفسه في السماء. وعندما وصل يسوع إلى الأرض أعلن هذه الحياة، "فِيهِ كَانَتْ الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ" (يو ١: ٩). وهي الكشف الكامل عن مَنْ يكون الله، ليس من خلال عقيدة، لكن من خلال حياة في بشر من لحم ودم، يعيشون ويتحركون بين الناس، فيهم حياة السماء فاعلة لاستكمال مشروع عودة الأرض إلى السماء. وهؤلاء البشر نشطين فاعلين مشتركين مع الله في عودة الأرض إلى السماء.

(٤) هي ليست شريعة الله للضعفاء المغلوبين على أمرهم، لكنها مؤامرة الله العبقريّة لقلب نظام الشرير، واستعادة إنسانية البشر، واستعادة الأرض للسماء. وبالرغم من أن كثيرًا ما حاولت النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والأعمال الخيرية أن تعيد للإنسان إنسانيته ولكنها لم تنجح في ذلك.

هناك أيضًا رأي خاطئ يقول: بما إن الله أعطانا السماء؛ فعلينا أن نتحمل هذه الوصايا الصعبة وأن نعيش مغلوبين على أمرنا، لكن عظة الجبل هي عظة الملك المقدر الذي يعرف حقيقة الأمور ويعرف كيف ينتصر!

(٥) هي خطاب العرش للملك يسوع يصف فيه حياة الملكوت، وكيفية تعامل بني الملكوت مع العالم الشرير في هذه المرحلة المؤقتة من ملكوته، فالملكوت يعمل الآن في حالة سرية لتخريب نظام الشر في العالم حتى يأتي الوقت الذي يستعلن فيه الملك العادل بالمجد والبهاء وعندئذ ستراه كل عين.

إن يسوع المسيح ليس فقط الملك على قلوبنا، ولكنه الملك بكل ما تعنيه كلمة ملك من سيادة وسلطان في الأرض والسماء، وستجتو باسم يسوع كل ركبة.

تقسيم الموعظة على الجبل

تبدأ الموعظة على الجبل بحديث المسيح بانسيابية وعبقرية بديعة، وهو يصف حقيقة بني الملكوت في تلاميذه، ويدعو الجموع للدخول إلى الملكوت، كما يحذر من توهم أنه في الملكوت وهو ليس منه.

ويمكننا تقسيم الموعظة على الجبل كالآتي:

١- الجينوم الإلهي الروحي أي زرع الله في أرواح بني الملكوت، كما يظهر في عالم الشر (مت ١٠: ١-١٢).

الجينوم الإلهي الروحي هو خريطة الجينات التي يتصف بها المولود من الله.

عندما تقرأ الجينوم البيولوجي تقدر أن تميز القرد من الحصان، وكذلك عندما نقرأ الموعظة على الجبل، نستطيع أن نميز الإنسان المولود من الله الذي به حياة الل، لأن فيه الجينوم الإلهي الذي صنعه الله في أرواح المولودين منه (١ بط ٢: ٢٣)، فقد كتب الله بصمته وخصائصه في الكيان الروحي لبني الملكوت، وأنت من بني الملكوت ليس لأن لديك عقيدة مسيحية، لكن لأن الله كتب خصائصه في روحك.

والأمر ليس حشو للعقول بالعقيدة، ولا انهماك الجسد في ممارسات دينية، ولكن الكيان الروحي المولود من الروح هو روح يحمل خصائص والده، وهو زرع الله في بني الملكوت، ليس كما سيظهر فيهم مستقبلاً في السماوات الجديدة والأرض الجديدة، ولكن يظهر الجينوم الإلهي في اخلاقهم وفي توجهاتهم وفي مشاعرهم وفي سلوكياتهم وهم يعيشون ويصارعون في عالم الشر.

وقد وصف هذا الجينوم وكأنه يقول يا لسعادتهم، يا لجمالهم، يا لحظهم، هؤلاء الذين كتب الله بنفسه عليهم خصائصه، هؤلاء قد يكونوا مكسورين في هذا العالم، قد يكونوا حزانى، قد يكونوا مضطهدين مطرودين، لكن ما أروع ما يظهر منهم، وما أروع التجليات التي يتجلى بها الجينوم الإلهي في عالم شرير، فإنهم يصنعون السلام، إنهم يرحمون، إنهم انقياء القلب ويعاينون الله.

فهو لم يتكلم عن هوية دينية أو ممارسات تعبدية، ولا عن عقائد لاهوتية، لكنه يصف حياة بني الملكوت وسماتهم الغالبة في هذه المرحلة من تاريخ الملكوت.

٢- فاعلية بني الملكوت ورسالتهم في العالم لا تقوم على فرض عقائدهم ولا على كثرة نشاطهم الديني، لكن تعتمد على تأثير شخصياتهم في عالم فاسد ومظلم (مت ١٣: ٥-١٦)

إن فرض العقيدة هو مهنة الضعيف وهو وسيلة المهزوم، ولكن بني الملكوت لا يفرضون عقائدهم بل فقط يعيشون (في ١: ٢٧)، وتلك الحياة كافية أن تقتن المسكونة،

إن بني الملكوت مؤثرون حيثما وجدوا، فهم ليسوا خاملون أو عاطلون أو منعزلون، فقد كان الرسل ينقادون من سجن إلى سجن ومن جلد إلى جلد ولم يستخدموا السيف أو القوة ولكن العالم قد انقلب بهم.

فمن الواضح أن الحياة أقوى من الموت! وهذه هي عبقرية الملك يسوع، فهو لا يقهر العالم، وهو لا يملك على العالم بالقوة، ولكنه يملك بالحياة التي أطلقها في كائنات بشرية.

اخفضوا الأصوات كفوا عن الضجيج كفوا عن التنافس كفوا عن الاستعلاء على الآخرين

فقط عيشوا المسيح، عيشوا جنسيتكم السماوية، عيشوا جينومكم الإلهي الروحي
إن هويتك ليست مرتبطة بما تملكه أو بما تفعله، ولكن أن تحيا بجينومك الإلهي.

انتم ملح الأرض، أنتم نور العالم، يسوع هنا لا يبالغ ولا يجامل. فهذا التأثير له جانب سري (الملح) وجانب علني (النور).

فعلى الرغم أن الملح لا يرى في الطعام، ولكنه له تأثير لا يمكن تجاهله، وكذلك أولاد الله فهم ليسوا على المسارح، ولا يلعبون لعبة الدين، ولكنهم يحيون، وحياتهم لها تأثير كتأثير الملح.

أما النور - وهو ليس نور العقائد ولكنه نور الحياة - فلا يمكن إخفائه، وله تأثير جبار بدون عنف وبدون ضجيج، فحضوره كافٍ لطرد الظلام، فتأثير النور والملح نابع من مجرد حضورهم.

٣- روح الملكوت (ايثوس) كما يعلنه الملك يسوع، هو جوهر الناموس والأنبياء الذي هو محبة الله ومحبة القريب (مت ٥: ١٧-٢٠).

نجد هذا الأمر يتكرر في (مت ٧: ١٢؛ مت ٢٢: ٤٠). ولكن كيف يمكننا أن نعيش مثل تلك الحياة المؤثرة العظيمة؟ هل يجب علينا حفظ العديد والعديد من الوصايا المعقدة؟ كلا!

إن الموضوع في غاية البساطة: تحب الرب إلهك من كل قلبك، وتحب قريبك كنفسك، وكونك مسيحياً يعني محبتك تكون لله ولقريبك.

ولابد أن نعرف أنه لم يكتمل الناموس والأنبياء في تاريخ اسرائيل، حتى جاء المسيح لكي يكملهم، وبالتالي يتحقق ذلك في اخلاق اولاد الله الذين يحبون الله ويحبون القريب كأنفسهم، وهذا هو بر بني الملكوت الذي يختلف كل الاختلاف كمّا ونوعاً عن بر الكتبة والفريسيين.

لقد قسّم الكتبة والفريسيين الناموس إلي وصايا كبرى ووصايا صغرى، ليستطيعوا نقض الوصايا الصغرى، لكن المسيح نهى عن مثل هذا الأمر.

إذاً كيف يظهر بر بني الملكوت عملياً في هذه المرحلة المؤقتة من الملكوت بينما هم يعيشون في عالم الشرير يقوم على الأنانية والتنافس والاستحواذ ويسوده الظلم والفساد؟ يظهر من خلال محبة الله ومحبة القريب.

وتظهر محبة القريب في المحافظة على كرامته وإعطائه حقوقه، وأما محبة الله فهي تظهر في الإقرار بسلطانه والثقة في صلاحه.

إن أكثر ما يميز انسانية الإنسان هو المحافظة على كرامة الآخرين، وكلما استطاع الإنسان بشكل أسرع تمييز كرامة الآخر وحقوقه، ارتفع أكثر في درجات الإنسانية.

هناك العديد من البشر الذين يعطفون على الكلاب ويعتنون بالبيئة ولكنهم لا يعطفون على إخوتهم في الإنسانية، ولا يحترمون الكبير والسلطة والحقوق.

٤- بر بني الملكوت في عالم ساقط (مت ٥: ٢١-٤٨).

نرى في (مت ٥: ٢١-٣٧) ثلاثة امثلة لمحبة القريب ونرى في (مت ٥: ٣٨-٤٨) مثالين لمحبة الله. ونرى محبة القريب في الآتي:

• احترام كرامة الآخر وحقوقه اثناء الكلام في المعاملات اليومية والمالية (مت ٥: ٢١-٢٦).

إن أكثر أمرين تهدر فيهم كرامة وحقوق الإنسان هما الكلام والمال. إن كنت تحب أخاك وتهتم بكرامته، فإنك لن تغضب عليه غضباً باطلاً بدون حق، لأن ذلك إهانة لكرامته، وهنا يجب الحذر من الانفعال والغضب، كما تشير الكلمتين " رقا " و " يا أحمق " إلي احتقار لصورة الله في أخيك الإنسان، ولكن عليك أن ترتقي إنسانياً وتحب الإنسان كما يحبه الله وتقدره كما يقدره الله.

وعلى النقيض من بر الفريسيين الذي يعطي الأولوية للقربان والمذبح، فإن بر بني الملكوت يعطي الأولوية للعلاقة مع أخي الإنسان، فالإنسانية كما يعلمها لنا يسوع تهتم بالعلاقة أكثر من العبادة، والعبادة

بالاستقلال عن الإنسانية هي عبادة زائفة باطلة شكلية غرضها السيطرة على الناس، فهي وحشية ضد الإنسانية.

- احترام كرامة الآخر وحقوقه كما تظهر في قوة ضبط الرغبات والالتزام بالعهود (مت ٥: ٢٧-٣٢).

ترتقي إنسانية الإنسان بقدر ما يستطيع أن يضبط رغباته، ولكن إن كانت الرغبة تسيره، فإنه في طريقه نحو البهيمية والتوحش. والغرائز في الحيوانات طبيعية مضبوطة من قبل الله بالجينوم الذي وضعه فيهم، لكن الغرائز في البشر غير مضبوطة لأنها تحتاج إلى علاقة مع الله حتى يتم ضبطها، فهي لا تقيد بموسم تزواج معين مثل الكلاب.

- ويتحدث يسوع هنا عن عدم تشييء المرأة وعدم استغلالها ولو بالنظر وأيضًا الالتزام بالعهود، وهذان الأمران: ضبط الرغبات والالتزام بالعهود هما أكثر ما يميز إنسانية الإنسان.

وفي تصويره المجازي البلاغي يشير إلى ضبط الرغبات بأي تكلفة وبأي ثمن (عب ١٢: ٤)، فعدد ٢٩ لا يجب أن يؤخذ بشكل حرفي.

ونرى في (مل ١٦: ٢) أن الله يكره الطلاق. وما يجعل الزواج مقدسًا بالنسبة لنا، أنه مبني على عهد وليس مجرد عقد، والعهد جزء من إنسانية الإنسان فلا يقطع الحيوانات عهود، ولذلك فالزواج يصحبه تفكيرًا عميقًا لأنه يصحبه عهد.

- احترام كرامة الآخر وحقوقه كما تظهر في عدم المناورة بالكلام مع الناس ومحاولة السيطرة عليهم (مت ٣٣: ٥-٣٧) لماذا نهانا المسيح عن الحلفان؟ لأنه مناورة بالكلام هدفها السيطرة والتأثير، يحاول الإنسان أن يسيطر على أخيه ويؤثر عليه وأن يجعله يخضع لما يقوله، ويصدق به بغض النظر عن كونه حق أم لا، ولكن الإنسانية تتضمن أن يترك الإنسان لأخيه الحرية في امتحان كلامه وتشغيل عقله النقدي والتفكير فيه واتخاذ قرار قبوله أو رفضه، وأما الحلفان فيوقف مثل تلك العملية ويشلها.

ونرى محبة الله في الآتي:

- عدم الانتقام وترك النعمة لله (مت ٥: ٣٨-٤٢)

إن محبة الإنسان لله تظهر عمليًا في إدراكه أنه ضابط الكل الذي لا ينعس ولا ينام ولا يهمل ما يحدث في هذا العالم (١ مل ١٨: ٢٧) وأنه ليس منسحب من التاريخ البشري بل هو موجود وقد قال "لي النعمة أنا أجازي"، ولذلك فمن المستحيل لمثل ذلك الإنسان أن يقول لله: "خذ لك جانبًا واتركني آخذ حقي بنفسِي".

لكن يسوع المسيح الإنسان الكامل الذي إذ شتم لم يشتم عوضًا، وإذ تألم لم يكن يهدد ولم يكن يطوي جناحه كالطير المكسور، ولكنه كان يسلم، ليس لله الرحمن الرحيم، وليس لله المحب الودود اللطيف، ولكن لله القاضي العادل (١ بط ٢: ٢٣)

- فهل تؤمن أن الله يتدخل في التاريخ البشري؟ وإن الظالم سينال ما ظلم به وليس محاباة؟ لقد قال الكتاب في سفر الرؤيا "من يظلم فليظلم بعد" (والحساب آتٍ)، وإن كنت أنت الظالم ومتمادٍ في ذلك الأمر، فاحترس لأنه يوجد إله منتقم. وفي (رو ١٢: ١٩) يخبرنا الرسول بولس أن نعطي مكانًا للغضب، ومعنى ذلك أن نبتعد ونأخذ مساحة ونترك الغضب الإلهي يتعامل معه،

ويتساءل البعض: "متى سيأخذ الله لي حقي؟" وقد لا يتم ذلك قريباً أو في هذه السنة، ولكنها ليست مسئوليتنا أن نتساءل في ذلك الأمر، لأنه في يوم الإهانة والألم، قد تألم المسيح أكثر منا، فهو الذي قال لشاول "لماذا تضطهمني"، ولأن يسوع يحترمنا أكثر مما نحترم أنفسنا، فهو يتألم لإهانتنا أكثر مما نتألم نحن، لكنه ضابط الكل، الإله الحكيم الذي يضبط الأمور بحكمة ويوقع القضاء في الوقت المعين وبالقدر المعين لتحقيق خيرك وخير الشخص الآخر.

وأما الجانب الآخر، فهو أن بني الملكوت ليسوا عاطلين، ولكنهم مسؤولين أن يتمموا رسالة في غاية الأهمية، ولذلك ليس هناك وقت للتفرغ للمعارك الجانبية وتضييع الوقت والجهد سعياً وراء الانتقام.

وتحويل الخد الآخر ليس معناه أنك تستعذب الألم، وذلك يعد تهريجاً وعدم فهم لبلاغة وعبقورية العظة، ولكن بني الملكوت يمضون في طريقهم نحو هدف سام وراق هو "الاشتراك مع الله في أنسنة البشر ونشر ملكوت الله بكونهم ملح ونور"، ولذلك فابن الملكوت مستعد أن يمضي في طريقه حتى لو كانت تكلفة ذلك أن يلطم مرة ثانية وثالثة ورابعة، وكل هذه اللطامات لا تنقص من قدر كرامته ذرة ولكنها تسهم في توحش هذا السفیه أضعافاً، فيصبح هو أكثر وحشية، ويصبح ابن الملكوت أكثر إنسانية لأنه يعرف كيف يوقر الله ويعطي له حقه في أن ينتقم في وقته وبطريقته.

• المحبة للجميع حتى الأعداء (مت ٥: ٤٣-٤٨)

- وهنا نرى التمثيل بصلاح الله الذي في نعمته ومحبته يمطر آلاف السنين على الأشرار والأبرار.
- وليس معنى ذلك أننا لا نتألم من الأشرار، أو أننا في شركة معهم، وليس معناها غفراناً غير مشروط لهم، ولكن معنى ذلك هو صناعة الخير للجميع حتى الأعداء. لن أقصر عن عمل الخير حتى لو كان ذلك مع من يعاديني.

٥- بر بني الملكوت في عالم متدين (مت ٦: ١-١٨).

حيث تظهر محبة الله ومحبة القريب في:

الثقة في صلاح الله الذي يرى في الخفاء. عدم السيطرة على الناس بالرياء في الصدقة والصلاة والصوم.

٦- بر بني الملكوت في عالم مادي (مت ٦: ١٩-٣٤).

حيث تظهر محبة الله ومحبة القريب في:

الثقة في صلاح الله لتسديد الاحتياجات. الاستثمار في الآخر والاكتناز في السماء.

نرى في (مت ٦) أن بني الملكوت أحراراً من قلق الصورة وقلق المال، فبني الملكوت يحبون الله بالإقرار بسلطانه والثقة بصلاحه كما يظهر في العلاقة معه في الخفاء، وعدم القلق من جهة الغد ومن جهة احتياجات اليوم، وأيضاً يحبون القريب في احترام حقوقه وكرامته بعدم الرغبة في ابهاره والسيطرة عليه. إن معظم التدين ينبع من الرغبة في ابهار الآخرين (The desire to impress)، ولكن على ابن الملكوت ألا يحاول عرض على الناس صورة معينة، ولكن عليه فقط أن يعيش ويترك الآخر يُكوّن رأيه فيه. وفي العالم المادي، فإن بني الملكوت لديهم رؤية مختلفة للواقع، فهم يضمون المنظور على غير المنظور، وهم لا يتجاهلون المنظور ولكنهم لا يقرؤونه بالانفصال عن غير المنظور، فقراءة المنظور

منفصلاً عن غير المنظور يؤدي إلي الحسابات الخاطئة، لأن لابن الملكوت رب في السماء يدير أحواله ويكتب قصة حياته، ولسان حاله "إني أعاني ما أعانيه، وأراه وأعرفه وأشعر به، ولكني لا أقرأه بالانفصال عن إيماني بغير المنظور".

٧- محبة الله ومحبة القريب في العمل مع الله لاسترداد إنسانية القريب مت ٧: ١-١٢).

من مظاهر جمال الثالوث هو أن الأقنوم يحب الأقنوم ويحب مع الأقنوم، ونرى ذلك في الزواج، حيث يحب الرجل امرأته، ويشترك مع امرأته في محبة أطفاله، وفي الملكوت يحب الإنسان الله، ويشترك مع الله في محبة قريبه، فمحبة الله ومحبة لقريبه تجعله يشتهي العمل مع الله في استرداد إنسانية القريب لأن هذا هو عمل الله.

لا إدانة للناس ولا فرض للصالح لكن تمييز وسد للاحتياج، ولا استعلاء بل سؤال وصلاة.

وهذا التمييز غرضه سد الاحتياج، فمن الغباء إعطاء الأشياء المقدسة للكلاب، فلا تعطي لكلبك كتابك المقدس إذا كان جائعاً، ولكن ميز احتياجه، احتفظ بدررك وأشيائك الغالية لنفسك، وابحث عن احتياج الناس وسدده، ولا تفرض عليهم دررك الثمينة.

ابدأ من حيث يحتاج الناس، لا تبدأ من حيث تريد أن تبدأ لتفرض على الآخرين وتعلي من أسهمك وتريح ضميرك وتعلق لنفسك النياشين أنك قد خدمت الله ودمرت الناس!

لا استعلاء بل سؤال وصلاة" تعلم أن تسأل وتطلب وتقرع على أبواب الناس وعلى عقولهم بلطف وبحكمة، حتى تسمع صوت خطوات الروح القدس من داخل قلوبهم يفتح لك الباب فتنتقل إلي خطوة أكبر.

٨- بني الملكوت بين الزيف والحقيقة (مت ٧: ١٣-٢٧).

في عالم شرير وساقط، متدين ومادي، توجد مقاومة للملكوت من الخارج ومن الداخل، وبالتالي هناك من يستصعبون الدخول، وهناك من استسهلوا وظنوا انهم دخلوا وهم واهمون، وفي هذا الجزء نجد اربعة امتحانات.

٩- عبقرية تعليم الملك يسوع (مت ٧: ٢٨-٢٩).

وأخيراً، نختتم الموعظة على الجبل بمناقشة عبقرية تعليم الملك يسوع في مخاطبته لكل من العقل اليهودي، والعقل اليوناني، والعقل الروماني، وبتبيان كيفية يلبي هذا التعليم أعمق احتياجات الإنسان، ويجيب عن أعمق اسئلته، ويرسم له طريقاً عبقرياً بالخروج من المأزق البشري، الأمر الذي عجز عنه كتبة اليهود وفلاسفة اليونانيين وأباطرة الرومان.